

السيرة - فقه السيرة النبوية - الدرس (٣٧-٥٧) : حلف الفضول  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٥-٠٨

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، اللَّهُمَّ اعْلَمُنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا وَزَدْنَا عَلِمًا، وَأَرْنَا  
الْحَقَّ حَقًا وَارْزَقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرْنَا الْبَاطِلَ باطِلًا وَارْزَقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ  
فَيَتَبعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ أَخْرِجْنَا مِنْ ظُلْمَاتِ الْجَهَلِ وَالْوَهْمِ  
إِلَى أُنُورِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ، وَمِنْ وَحْولِ الشَّهَوَاتِ إِلَى جَنَّاتِ الْقُرْبَاتِ.  
أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس فقه السيرة النبوية، وموضوع اليوم كما ذكرت في  
درس سابق أننا وصلنا في تسلسل الأحداث إلى نهاية طريق الهجرة، ولكنني أردت أن أقف  
وقفات متأنية عند أحداث شهيرة حدثت قبل الهجرة، تحدثت عن انشقاق القمر، وسأتحدث اليوم  
عن موضوع حلف الفضول.

### دلائل حلف الفضول:

الحقيقة هناك دلالات كبيرة جداً لهذا الحلف الذي حضره النبي ﷺ قبلبعثة، وباركه بعد البعثة،  
مع أن الذين أقاموا هذا الحلف ليسوا على ما ينبغي أن يكونوا عليه، ولكن الخير يجب أن ندعمه  
أينما كان، أما التقوّع، والقطيعة، والإلغاء الطرف الآخر، والانزواء على الذات فهذا ليس من منهج  
النبي عليه الصلاة والسلام.

### تفاصيل حلف الفضول:

روى ابن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش هم بنو هاشم، وبنو المطلب وبنو عبد العزة، وبنو  
زهرة، ونتيم، تدعوا إلى حلف.

أيها الإخوة، قبل أن أتابع، في الأصل الإنسان فطراه الله ع فطرة سليمة في الأصل، هذا هو الأصل، لذلك قال تعالى:

﴿فَاقِمْ وَجْهكَ لِلَّدِينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ  
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

(سورة الروم الآية: ٣٠)

أي إنسان على وجه الأرض كائن من كان فُطر على حب الخير، على حب

المعروف، على حب العدل، على حب الرحمة، الفطرة تعني أن تحب الكمال، ولا تعني أن تكون كاملاً، لكن الصبغة تعني أنه بعد اتصالك بالله، وبعد اشتقاق الكمالات منه أصبحت رحيمًا لذلك عندنا موضوعان: موضوع الفطرة، وموضوع الصبغة.

﴿فَاقِمْ وَجْهكَ لِلَّدِينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

هذا موضوع الفطرة، فأي إنسان كائناً من كان يجب أن يكون مؤمناً، يجب أن يكون مستقيماً، يجب أن يكون عفيفاً، يجب أن يكون صادقاً، يجب أن يكون محسناً، هذه حقيقة



فطر الله الإنسان على فطرة سليمة

لذلك لأن الإنسان مفطور فطرة كاملة تعذبه نفسه إذا أخطأ، وهذا تفسير الكآبة التي يقع بها من انحرف عن منهج الله عزوجل، ولو لا هذه الفطرة السليمة التي فُطر الناس عليها لما شعر أحد الناس بألم حينما يخطئ، أي إنسان كائناً من كان إذا خرج عن منهج الله، أو عن مبادئ فطرته يتألم أشد الألم. ثمة فندق في ألمانيا كتب على السرير لأن فطرة الإنسان كاملة تعذبه نفسه إذا أخطأ

في الغرف: "إن قلت في هذه الليلة فلم تتم فالسبب ليس في فرشنا، إنها وثيرة، ولكن في ذنوبي". مرة حدثني أخ كريم عن حادث سير وقع في لبنان، لإنسان كان يقود مركته بسرعة، فدهس غلاماً صغيراً ذهب ليشتري حاجته لأبيه بعد الثانية ليلاً من بقالية تفتح طوال الليل، السائق تابع

سيره، وكتب الضبط ضد مجهول، وبقي السائق الذي ارتكب هذا الحادث عشرين يوماً لم يذق طعم النوم، مع أن أحداً لم يسألها، فذهب إلى طبيب نفسي فنصحه أن يؤدي دية القتل بشكل غير مباشر لأسرة الغلام من أجل أن ينام.

أنا أؤكد لكم: ما من واحد منا كائناً من كان، بأي مستوى ثقافي، بأي مستوى في الإيمان، يرتكب خطأ نهى عنه الرحمن، وأنكرته فطرة الإنسان إلا ويتألم، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها (٧) فَلَهُمَا فُجُورٌ هَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾

(سورة الشمس)

أي ألهما حينما تفجر أنها فجرت، وألهما حينما تتقى أنها انقت، هذه خصيصة بالإنسان — أيها الإخوة — هي سبب احتمال العودة إلى الله من شدة الألم الذي لا يحتمل، لذلك:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَتَّىٰ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

يؤكد هذا المعنى أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما يأتيه إنسان في الجاهلية يعلن إسلامه يقول له:

(( أسلمتَ على ما أسلفتَ من خير ))

[ منفق عليه ]

أو يقول له:

(( خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا ))

[ رواه البخاري عن أبي هريرة ]

وهذا تشير إليه الآية الكريمة:

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ (١٩٦)﴾

(سورة الأعراف الآية: ١٩٦)

الصالح في علاقاته قبل أن يلتزم هذا الإنسان يتولاه الله بالرعاية والعناية، إذاً البشر من طبيعة واحدة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

(سورة الأعراف الآية: ١٨٩)

من خصائص واحدة، من مشاعر واحدة، وما من إنسان إلا وفيه جانب خير، وهذا الجانب الخير يتولاه الله بالرعاية، لذلك إذا كنت مؤمناً ورأيت إنساناً يرتكب بعض المعاصي والآثام من أجل أن تعينه على نفسه، انظر إلى جوانبه الإنسانية، وحاول أن تتميئها.



سيدينا عمر رضي الله عنه له صديق مدمن خمر في الشام، أرسل له رسالة يحثه فيها على التوبة، ذكر له الآية:

### ﴿غَافِرٌ الذَّنْبِ وَقَابِلٌ التَّوْبَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾

(سورة غافر الآية ٢٠)

وكانت رسالة رقيقة جداً، قرأها وبكي، حتى حمله بكاؤه على التوبة، فلما بلغ عمر رضي الله عنه أن هذا الصديق الذي سقط، وعصى، ثم تاب ورجع، قال: <> هكذا اصنعوا مع أخيكم إذا ضل، كونوا له عوناً له على الشيطان، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه <<.

إذَا: إن كل إنسان ينطوي على فطرة سليمة، في علاقتك كلها، وفي تربية من حولك، ومع أولادك، حتى ومع خصومك.

### عودة إلى تفاصيل حلف الفضول:



قال ابن إسحاق: هذه القبائل تداعت إلى حلف، والإنسان قهر الله على أن يعيش مع أخيه الإنسان، لماذا؟ أي واحد منا يتقن صنعة واحدة، وهو يحتاج إلى مئة ألف صنعة أخرى يحتاج إلى ثياب، والثياب تحتاج إلى قماش، يحتاج إلى من يخيط القماش، يحتاج إلى مئة آلة وآلية تستخدم في الخياطة، ولكل آلة مصنوع، وكل مصنوع

عمال، يحتاج إلى الطعام والشراب، رغيف الخبز الذي تأكله ساهم فيهآلاف الأشخاص، بدءاً من زراعة القمح، إلى سقي القمح، إلى تسميد القمح، إلى حصاد القمح، إلى دراسة القمح، إلى تنظيف القمح بالماء، إلى تجفيف القمح، إلى طحن القمح، إلى خبز القمح، إلى أن يكون رغيفاً، إلى أن من يوصله إلى بيتك، الإنسان قهر إلى أن يكون في المجتمع، لذلك العبادات الجماعية في الإسلام كثيرة جداً، وإن أجر الذي يصل إلى جماعة يعدل ٢٧ ضعفاً عن من يصل إلى وحده، الصيام عبادة جماعية، الحج عبادة جماعية، الخطاب جماعي.

### ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾

(سورة الفاتحة)

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٢٦)

( سورة المطففين )

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾

( سورة آل عمران الآية: ١٣٣ )

أما الأدلة من السنة:

(( يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ))

[ رواه إبراهيم بن ميمون عن ابن عباس ]

(( وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَ شَذَ إِلَى النَّارِ ))

[ رواه الترمذى عن ابن عمر ]

(( عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْأَثْنَيْنِ أَبْعَدُ ))

[ رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة ]

من ملامح حلف الفضول:

الملمح الأول: الانفتاح على الناس وعدم التقوّع:

أنا رأيت في حلف الفضول ملحاً خطيراً جداً المسلمين في أمس الحاجة إليه، هذا التقوّع، هذا الانكفاء على الذات، تكفير الآخرين، ازدراء الآخرين، إلغاء وجود الآخرين، الاعتداد أننا أمة مثلاً.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾

( سورة آل عمران الآية: ١١٠ )

هذا صحيح وغير صحيح، صحيح إذا أمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، وأمنا بالله، وغير صحيح إذا تفلتنا من منهج الله، لأن الآية التي خطّب بها أهل الكتاب تتطق علينا أشد الانتقاد:

﴿ وَقَاتَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ خَلْقٍ ﴾

( سورة المائدah الآية: ١٨ )

الله عزوجل لكل المسلمين، على اختلاف شرائعهم، على اختلاف أطيافهم، ودائماً وأبداً، لما أسأل عن زواج إنسان أقول إن صحت عقيدته،



واستقامت سيرته، فهو مؤمن ورب الكعبة.

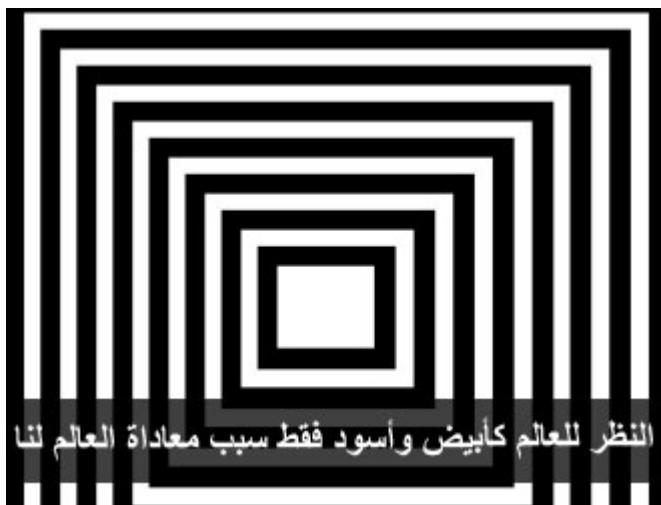
إذَا: نريد أن نستبط من هذا الموضوع من – حلف الفضول – الانفتاح، الحوار مع الآخر، أن نقبل الآخر، ولو لم يكن كما نريد، أتريدون دليلاً قطعياً قرآنياً؟ قال تعالى:

﴿غَلِبْتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سِيَقُلُّونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينٍ﴾

(سورة الروم)

من هم الروم؟ أهل الكتاب.

﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾



﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ  
يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)﴾

(سورة الروم)

من هم المؤمنون الذين سوف يفرجون بنصر الله؟ الصحابة الكرام، من الذين انتصروا؟ أهل الكتاب، إذا هناك قواسم مشتركة، هذه دعت الصحابة النظر للعالم ك أبيض وأسود فقط سبب معاداة العالم لنا الكرام إلى أن يفرحوا بانتصار أهل الكتاب، مع أن لهم عقائد نحن لا نوافقهم عليها إطلاقاً، انتصروا على الفرس الذين هم عبدة النار، إذا هناك نسبية، قال الله عزوجل:

﴿هُمْ لِكُفَّارٍ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

(سورة آل عمران الآية: ١٦٧)

هناك لون رمادي، نقطة بين نقطتين، هناك نسبية، هناك أناس يرفضون النسبة إطلاقاً، يرفضون نقطة بين نقطتين، يرفضون لوناً رمادياً أبيض أو أسود، هذا الذي سبب لنا أن يكون العالم كله معادياً لنا.

## الملمح الثاني: التعايش مع الطرف الآخر:

ووجدت في حلف الفضول ملحاً رائعاً يحتاجه المسلمون اليوم كي يتعايشوا مع الطرف الآخر، ألم يسمح الله لل المسلمين أن يقبلوا من أهل الكتاب الجزية، وأن يحموا دمائهم وأعراضهم، وأموالهم مقابل هذه الجزية، إذاً في تعايش، وقد قال الله عزوجل:

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾

(سورة التوبه الآية: ٧)

وقد قال الله عزوجل:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾

(سورة المتنحة الآية: ٨)

هؤلاء القبائل الذين تدعوا إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان لشرفه، ولسن، فكان حلفهم عنده، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

إخواننا الكرام.

### (( الظلم ظلمات يوم القيمة ))

[رواه أحمد في مسنده والطبراني، والبيهقي، عن ابن عمر]

### الملمح الثالث: نصرة الضعيف والمظلوم:

والله العظيم، لو أن أمة مسلمة ظلت تهزم، ويقوى عليها مجتمع كافر أقام العدل بين أفراد رعيته، هذا الكلام قال بعض علماء المسلمين: "إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة".

أنا أريد أن تتبعوا إلى أن الموقف العنيف، الموقف الأحادي، اللون الأبيض فقط، إلغاء الطرف الآخر، تكفيه دائمًا، هذا ليس من حكم النبي عليه الصلاة والسلام، هؤلاء الذين عقدوا الحلف كان النبي عليه الصلاة والسلام بينهم، وكانوا جميعاً يعبدون أوثاناً، هذا قبلبعثة، و قال بعدبعثة: لو دعيت إلى حلف آخر لحضرت، ماذا يعني ذلك؟ أنه يلتقي مع الطرف الآخر، وأنه يمكن أن يقيم جسور، يمكن أن يتعاون، المؤمن منفتح، وليس منغلقاً.  
إذًا: تعاهدوا على لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم، من دخلها، من سائر الناس إلا قاموا معه.

إخواننا الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام ودقوا في هذا الحديث، ولعل في هذا الحديث حلًّا لمشكلات المسلمين:

### (( إنما تنتصرون بضعفائكم ))

[رواه أحمد والنسائي عن أبي الدرداء]

كيف



## (( إنما تنتصرون - بالصاد - بضعفانكم ))

لأن هذا ضعيف، بإمكانني أن أهمله، بإمكانني أن أسكته، بإمكانني أن أُسْحِّقه، بإمكانني أن أدمره، ضعيف لا يستطيع أن يتكلم، لا يملك قوة، ولا مالاً، ولا قنوات سالكة مع الأقوياء، حينما أطعنه إن كان جائعاً، وأكسوه إن كان عارياً، وأعلمه إن كان جاهلاً، وأؤويه إن كان مشرداً وأنصفه إن كان مظلوماً، ما الذي يحصل؟ الله عزوجل شكور، هو ضعيف أمامي، بإمكانني ألا أسعده، ولا يستطيع أن يقول كلمة، يكافئني الله عزوجل على هذا العمل بمكافأة من جنس عملي، فينصرني على من هو أقوى مني، إن أردنا أن ننتصر على قوة عاتية باغية طاغية، متعرفة، قوية جداً، تملك أسلحة فتاكة جداً، إن أردنا أن ننتصر عليها فلننصر ضفاعنا، هذا الملمح توحيدي. لكن هناك ملمح تكتيكي، الأمة حينما تتصارض ضفافها يتماسك المجتمع، ويصبح صفاً واحداً، كالبنيان المرصوص، ولا يستطيع عدو خارجي أن يخترقه، ولا شيء يقوى الأمة كتماسكها، ولا شيء يعين على تماسكها لأن تتصارض ضفافها.



(( لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم: ولو دعيت إلى

**مثله في الإسلام لأجبرت ))**

هكذا كان عليه الصلاة والسلام، بينما أكرم النجاشي أصحاب رسول الله إكراماً شديداً، وأمنهم وحمّهم، وأحسنتم وفادتهم واستقبالهم، لما توفي النجاشي ماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام؟ صلى عليه صلاة الغائب، هل أقام النجاشي الإسلام في مملكته؟ لا، حمى أصحاب النبي، هل أقام الإسلام في كل أرجاء مملكته؟ لا، ومع ذلك يعده بعض أصحاب السيرة من أصحاب النبي، أو من التابعين الذين لم يروا النبي، وصلى عليه، أرأيت إلى هذا الاعتدال؟ أرأيت إلى هذه المرونة؟ أرأيت إلى هذه العلاقات الإنسانية؟ هكذا ينبغي أن يكون المسلمون، العرب في جاهليتهم، قال الله عزوجل:

﴿وَلَا تَبْرُجِنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

(سورة الأحزاب الآية: ٣٣)

#### الملمح الرابع: مكارم الأخلاق عند عرب الجاهلية الأولى:

فكانت هذه الآية الأولى إشارة إلى هناك جاهلية ثانية أدهى وأمر، في الجاهلية الأولى يقول عنترة:

أغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جاري مأواها  
قبل الإسلام، قبل قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

(سورة التور الآية: ٣٠)

يقول عنترة:

أغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جاري مأواها

في الصحراء قيم الشجاعة، قيم الكرم،  
حاتم طي ذبح فرسه الوحيدة إكراماً  
لضيفه، قيم رائعة، لذلك قال عليه  
الصلوة والسلام:

(( إنما بعثت معلما ))

[أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر]

(( إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق ))

[رواه مالك عن أبي هريرة وغيره]

معنى ذلك أن هناك مكارم أخلاق،

وجاء النبي عليه الصلاة والسلام

ليتممها ، فالعرب في جاهليتهم، وقبل دخولهم في الإسلام كانوا أهل نخوة، وشهامة، وعزّة،

وكرامة لا يصلون على الضيم، ولا يقيمون على الظلم، يعظمون الحرمات، ويحافظون على

ال المقدسات، ويجتمعون لرد المظالم على أصحابها، زعمائهم عقلاً، ولا مكان بينهم لسفهاء كما

قال الله عزوجل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْفَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْدُونَنِي﴾

(سورة التور الآية: ٥٥)



تجد في الصحراء قيم الشجاعة والكرم



وعدهم بالاستخلاف، وبالتمكين،  
بالتطمين، وهم ليسوا مستخلفين، ولا  
ممكنين ولا آمنين، لماذا؟ لأنه:

﴿فَلَفَّ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَصْنَاعُوا  
الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ

غَيْرًا﴾ (٥٩)

(سورة مريم)

**تفاوتت أمتنا فاخترقت من قبل أعدائها**

أحياناً أمة النبي عليه الصلاة والسلام  
في حالات ضعفها وذوبانها بالحضارة

الغربية، وانبهارها بها، وتقلتها من منهج الله، وباختراقها من قبل أعدائها، أصبحوا إذا اجتمع الناس فيما بينهم يجتمعون كالقطعان على الطعام والشراب، ويتحاورون كالطرشان، ويخطبون  
بأسنة الغربيين، يمشي أحدهم كالسكران، ويجلس كالوسنان، ويتكلم كالشيطان، هذه الجاهلية  
الثانية:

﴿وَلَا تَبَرَّجْ تَبَرَّجْ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

الثانية أدهى وأمر.

أيها الإخوة، قضية حلف الفضول قال عنه ابن هشام رحمه الله تعالى: "حلف عقدته قريش بينها على نصرة مظلوم بمكة، قال: ويسمى حلف الفضول ولم يذكر سبب تسميته، قال عليه الصلاة والسلام مرة ثانية:

(( لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت ))

**الملمح الخامس: المبادرة إلى الأعمال النافعة مهما كان صغيرة:**

قال الله عزوجل:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾

(سورة المائدah الآية: ٢)

التعاون على البر والتقوى تنفيذ لأمر إلهي، قالوا: البر صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة.  
أنا كنت قبل قليل أحضر محاضرة في جمعية مكافحة التدخين والمواد الضارة قال وأنا أحد  
مؤسسـي هذه الجمعية، عرض علينا طبيب متخصص بأورام الحنجرة صوراً لأورام خبيثة في  
اللـثـة، وفي سقف الحلق، وفي مقدمة الفم، وفي نيرة الأسنان، صور مخيفة، وانتهـت إلى استئصال  
الفـكـ بأكملـهـ، صدقـواـ أيـهاـ الإـخـوـةـ، لا تستـطـيعـ أنـ تـتـابـعـ هـذـهـ الصـورـ، قال الله عـزـوجـلـ:

﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ﴾

(سورة الأعراف الآية: ١٥٧)

فإذا كنت إنساناً ناشطاً في عمل خيري، وقد يكون محدوداً، مكافحة التدخين هذه جمعية، جمعية الإعاف لتزويج الشباب، صندوق العافية لمعالجة المرضى، الفضل الله عزوجل، فتحت أبواب لتأسيس جمعيات تقدم خدمات للأمة، فأنت إذا كنت إيجابياً، ولم تكن سلبياً إذا كنت معطاء، ولم تكن مقتاراً، إذا كنت اجتماعياً، ولم تكن متقوقاً، هل هذا يخالف منهج الله عزوجل ؟ أبداً، كن منفتحاً.

#### الملمح السادس: القوة والنخبة مطلوبة في الإسلام:

إخواننا الكرام، الطرف الآخر كيف يتعامل مع الإسلام ؟ الطرف الآخر – لن لتأيد النفي – لم يقرأ كتاباً عن الإسلام، لماذا ؟ لأن المسلمين حبوا عن الطرف الآخر دينهم، كيف ؟ أنت إذا رأيت إنساناً قذراً، يتسلو، قميئاً، منحرفاً، له دين معين، دين غير سماوي، هل يخطر في بالك مرة واحدة أن تشتري كتاباً يتحدث عن دينه ؟ أبداً، لأن هذا المنظر، وهذا التخلف، وتلك الفدارة، وهذا الانحراف حبك عن أن تقرأ دينه، أما حينما ترى إنساناً نظيفاً، منضبطاً، معطاء، خيراً، أخلاقي، دون أن تشعر تسأل في أي جامع يحضر ؟ من علمه هذا ؟ من أمده بهذه الأخلاق.

أنا أذكر مرة أن طالباً عندنا في الجامع التحق بالمسجد في معهد التحفظ، وكان في شهادة عامة، أعتقد في المتوسطة، وكان أبوه ينهاه عن الانضمام للمسجد تهليلاً لا حدود له، كان يعنده، وكان يزجره، وأحياناً يضربه، فإذا بهذا الشاب نجح بتقويق على دمشق بأكمالها، فأمره أبوه أن يأخذ معه أخيه إلى المسجد.



والله أقول لكم كلمة الآن، وأرجوكم ألا تطالبوني بالدليل، هذه قناعتي من دون دليل: لن يحترم ديننا إلا إذا تفوقنا في دنيانا، النبي عليه الصلاة والسلام طلب النخبة، قال:

(( اللهم أعز الإسلام بأحد العررين ))

[رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس]

فلما أسلم حمزة، وهو من وجهاء قريش، توقف إيزاء قريش للمسلمين، ولما أسلم عمر صلى المسلمون في الكعبة، لذلك أنا أحب النخبة، أما الضعف فعلى العين والرأس، لعلنا نرزق بهم، لكن الذين يحدثون انعطافات كبيرة جداً في المجتمع هم النخبة، فكما أنتا بحاجة إلى عدد كبير من

المؤمنين الصادقين الطاهرين فنحن بحاجة أمس إلى نخبة متميزة تتمتع بكفاءات عالية، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

(( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]



قد تكون قوياً في علمك، وقد تكون قوياً في مالك، وقد تكون قوياً في منصبك، وكانت أقول دائماً: يجب أن تكون قوياً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أثنى على المؤمن القوي، لماذا؟ لأن الخيارات المتاحة للأعمال الصالحة للقوي ليست متاحة لغيره، فالقوي يمكن أن يؤسس ميتاماً يأوي به الأيتام، يمكن أن يؤسس معهداً، يمكن أن يؤسس

مستشفى، يمكن أن يزوج الشباب، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه

الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ))

[متفق عليه]

هذه قوة المال، قوة المنصب، القوي في منصبه يحق حقاً ويبيطل باطلًا، يقر معرفةً، ويزييل منكراً، أليس كذلك؟ توقيع واحد، من نوع الإعلان عن التدخين في كل بلادنا، توقيع ثانٍ، من نوع تعاطي الدخان في كل وسائل المواصلات، البرية والبحرية والجوية، بتواقيع واحد يمكن أن تقر معرفةً، وأن تتكر منكراً، لذلك القوة مطلوبة، والعلم مطلوب، والمال مطلوب، لأن الأقواء متاح لهم من الأعمال الصالحة ما لم يتح لغيرهم.

سؤال: ما دام النبي قد أثني على الأقواء إذاً أنت ينبغي أن تكون قوياً، ولكن لا بد من تفصيل: إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله فيجب أن تكون قوياً، أما إذا كان سالكاً على حساب دينك فضعفك وسام شرف لك، وإذا كان طريق الغنى سالكاً وفق منهج الله فينبغي أن تكون غنياً، أما إذا كان على حساب دينك، بضاعة محمرة، وكذب، وربا، وغش واحتيال، فلا، كن فقيراً فالفقر وسام شرف لك.

## الملمح السادس: لا بد من شباب طموح:

أنا أعطيكم أيها الإخوة الخيارات، أنا أتألم أشد الألم من شاب في مقتل حياته ليس طموحاً؟ لم لا تكون عظيماً؟ لم لا تكون شيئاً مذكوراً؟

مرة سألت طلاباً لي في التعليم الرسمي، من يذكر اسم غني كبير عاش في دمشق عام ١٨٩٣؟ وانتظرت، دقيقة، دقيقتين، ثلات دقائق، أربع دقائق، خمس دقائق، أنا صامت ما أحد ذكر، فقلت لهم: وأنا مثلكم لا أعرف، لكن من هنا ينسى صلاح الدين الأيوبي الذي رد الفرنجة؟ من هنا ينسى عمر بن الخطاب؟ ابن الوليد؟ الصديق؟ هؤلاء الأعلام، لذلك قال سيدنا علي: يا بني، العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تقصه النفقة، والعلم يزكي على الإنفاق، يا بني مات خزان المال وهو أحياه – هو حي ميت – والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

كم مرة يذكر أبو حنيفة؟ يمكن مليون مرة باليوم، الشافعي، ابن حنبل، مالك، هؤلاء الأعلام لأنهم قدمو شيئاً، أنا أتكلم مع الشباب الآن، لم لا تفكرون أن تقدم شيئاً؟ قدم شيئاً لأمتك، والله أنا أعمل في التدريس الجامعي، والله يأتي إلى سمعي طموحات من شباب أكبرهم، وأتمنى أن يكون هذا معمماً على كل الشباب، لم لا تكن عالماً



كبير؟ عالم ذرة كبير؟ قال تعالى:

﴿وَأَدِّعُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ فُوَّةٍ وَمَنْ رِبَاطُ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٦٠)

ملمح بالآلية دقيق جداً، السلاح القوي قد لا تستخدمه، لكنه يجعلك مرغوب الجانب، لا يفكر أحد أن يتطاول عليك، ولا أن يدنسك مصحفك، ولا أن يتهجم على نبيك، أليس كذلك؟ لذلك ادرسوا،

تعلموا، نالوا شهادات عالية، فكروا بتقديم شيء لأمتك، حلوا مشكلات أمتك، مشكلات البطالة، والسكن، والتعليم، عندنا مشكلات لا تعد ولا تحصى، شأن أكثر الدول النامية



خلف الفضول

لذلك الأمة بشبابها، الكبار في السن هؤلاء يمثلون الماضي، نحترمهم ونجلهم، ولكنهم خلقوا في زمن غير زمننا، وحديثهم عن أمجادهم السابقة، والذين يمثلون الحاضر، ليس بيدهم شيء، يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، نحن عبيد إحسان، لا عبيد امتحان، الله يدبرنا أحسن تدبير، ما لنا إلا الله، كله شغل سيدك، أما الشباب فيمثلون المستقبل، ولم يبق في أيدي الأمة من ورقة رابحة إلا الشباب، عليهم المعمول، أما حينما توازن بين شاب في عهد النبي سلمه النبي قيادة الجيش، عمره ١٨ عاماً، ركب الناقة والصديق يمشي في ركبته، شيخ الإسلام، قال: يا خليفة رسول الله، لتركين أو لأنزلن، قال له: والله لا ركبت ولا نزلت، وما علي أن تغدر قدمايا ساعة في سبيل الله. سيدنا الصديق أراد أن يبقي عمر إلى جانبه، عمر جندي في هذا الجيش، وله قائد، أسامة ١٨ عاماً، قال له: يا أسامة، أتأذن لي بعمر؟ أرأيت إلى النظام والتسلسل؟ هذه الحضارة من أين جاءوا بها؟.

أيها الإخوة، أجري استبيان لدى الشباب، النتيجة مؤسفة جداً، أن ٣% من هؤلاء الشباب يعرفون أهدافهم، والباقيون بلا أهداف.

الآن سنڌويشة، وبسي وعلي الملعب، أول حفنة طحين، أو تمرات، والسيف وعلى الجهاد.



الإسلام أيها الإخوة إذا أضفنا عليه تقاتلنا وتتناحرنا، وكان بأسنا علينا، وإذا حذفنا منه ضعفنا، لا تتتسوا هذه القاعدة، تضييف عليه نتناحر، نصبح فرقاً ومذاهب وشيعة وأحزاباً، وطوائف، وكلّ يكفر الآخر، وبأسنا علينا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَाً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾

(سورة الأنعام الآية: ١٥٩)

أيها الإخوة، إذا ينبغي أن يكون الإنسان ذا شأن، يكفي أن يكون ذا اختصاص وأن يقدم لأمته شيئاً ثميناً.

((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، لو دعيت إلى مثلك في الإسلام لأجبت ))

تحالفوا على أن ترد الفضول إلى أهلها، وألا يعزى ظالم مظلوماً، فقد بين في هذا الحديث الشريف لم سمي حلف الفضول، وكان حلف الفضول بعد حرب الفجار، الحروب تأكل الأخضر واليابس، ولا تبقى على شيء، وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان، وكان حلف الفضول في

ذى القعدة، قبل المبعث بعشرين سنة كان عليه الصلاة والسلام في سن العشرين شاباً، وكان حلف الفضول أكرم حلف، وأشرف حلف كان في العرب، جاء بعد حرب طاحنة، والعرب في الجاهلية يدخلون في حروب طاحنة تستمر عشر سنوات لأسباب تافهة جداً، مد أحدهم رجله، وقال: من كان أشرف مني فليقطعها، فقطعها أحدهم ، فنشبت حرب عشر سنوات.

### سبب حلف الفضول:

وكان أول من تكلم بهذا الحلف ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة بضاعة فاشترها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف، عبد الدار، ومخزوم، وجمح وعدي بن كعب، فأبوا أن يعيشوه على العاصي بن وائل، بل انتهروه، فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أندائهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته: يا آل فهر،  
لمظلوم بضاعته ببطن مكة ناء الدار والنفر ومحرم أشعث لم يقض عمرته  
يا الرجال وبين الحجر و الحجـر إن الحرام لمن تمت كرامته



ولا حرام بثوب الفاجر الغدر.  
وكانت هذه بداية حلف الفضول،  
فاجتمعوا هذه القبائل، وقال الزبير بن عبد المطلب: مالي هذا متراك، يعني  
هذا ظلم، إنسان يبيع بضاعته، ولا يأخذ ثمنها، كم من إنسان أكل ماله في المجتمعات الإسلامية، فصنع لهم ابن جدعان طعاماً، وتحالفوا في ذي القعدة  
في شهر حرام قياماً، فتعاقدوا وتعاهدوا

بالله ليكونوا يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه، وعلى التأسي في المعاش،  
فسمعت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقالوا: لو دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه، وعندها سمى هذا الحلف حلف الفضول.

كن إنساناً مؤمناً، إيجابياً، اسع إلى حل مشكلات مجتمعك، لا تكون متقوقاً، لا تكون متشددًا، لا تبتعد عن حوالك، ما من إنسان إلا وعنه شيء من الخير.

أردت من هذا الحلف أن يكون منهجاً لنا، وقد حضره النبي في سن العشرين وإذا ظننت أنه يرفضه بينما أنتهى الرسالة، قال بعكس ذلك:

((لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت ))

إذاً لا تكن متقوقاً، كن منفتحاً، وساهم في حل مشكلات أمتك، وأخرِ الطرف الآخر أن المسلم إيجابي، وخير، ويحب حل مشكلات أمتة، ويحب أن يقدم لها شيئاً، لا تكن في برجا عاجيا، وتقل: هؤلاء ليس لهم خير، وأنا لست منهم، لا. لما ضرب النبي في الطائف قال:

(( اللهم اهدِ قومي ))

ما تبرأ منهم، قال:

(( اللهم اهدِ قومي ))

وما قال اللهم اهدِ هؤلاء.

أحياناً يسلك الإنسان طريق الإيمان قليلاً فينسحب من المجتمع، ويحتقر المجتمع ، ويستعلى عليه، بهذه أخلاق الأنبياء؟ هل الأنبياء عاشوا في برج عاجي أخلاقي أم يعيشوا في برج عاجي فكري، وصفوا في القرآن:

﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾

(سورة الفرقان الآية: ٢٠)

كانوا مع الناس، هذا الحلف فيه ملامح كثيرة المسلمين اليوم في أمس الحاجة إليه، فالطرف الآخر كي يتعرف إلى الإسلام لا بد من أن يراك إيجابياً.

والحمد لله رب العالمين

